دفء الفراش جُنُباً في ليلة شديدة البرد، لا شك يعرف قيمة عمله، ويتحلى بوعي ديني كبير، وحس إيماني عميق يجعله يبادر إلى التطهر عقب اكتشاف الأثر دون تباطؤ أو كسل[1].

ثالثاً: شيوخه في طلب العلم:

انقطع سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام للعلم والتعلم بعد ما ناهز الاحتلام كما تدل على ذلك حادثة مبيته في الكلاسة من جامع دمشق، وشمّر عن ساعد الجد وشحذ الهمة، فحفظ المتون، ودرس الكتب، وتردد على كبار الشيوخ في عصره ليعوض ما فاته في صغره، كما أن كبر سنه وذكاءه أعاناه على التفوق في تحصيل العلم وإدراك مسائله الغامضة وتحليل رموزه، والذي ساعده أيضاً على الاستزادة من العلم والمعرفة الجو العلمي الذي كانت تعيشه بلاد المشرق بصفة عامة ومدينة دمشق بصفة خاصة، حيث كانت موطناً لعدد كبير من فحول العلماء ومشاهيرهم فنهل منهم العلم والمعرفة، وتحلى بمكارم أخلاقهم، واقتدى بحسن سلوكهم حتى أصبح كما قال السبكي رحمه الله: أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله

(1) طبقات الشافعية..

تعالى[1]، قال الداوودي (ت 945هـ): كان العز بن عبد السلام يقول: ما احتجت في علم من العلوم إلى أن أكمله على الشيخ الذي أقرأ عليه، وما توسطته على شيخ من المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم إلا وقال لي الشيخ: قد استغنيت عني، فاشتغل مع نفسك، ولم أقنع بذلك، بل لا أبرح حتى أكمل الكتاب الذي أقرؤه في ذلك العلم[2]، وكان يقول: مضت لي ثلاثون سنة لا أنام حتى أمر أبواب الأحكام على خاطري[3]، وقد تلقى العز رحمه الله علوم الحديث والفقه والأصول والتفسير والتصوف واللغة على أكابر وجهابذة علماء دمشق التي كانت قبلة طلاب العلم وموطن العلماء الأفذاذ، البارعين في شتى العلوم والفنون، فتردد عليهم الشيخ عز الدين فنهل من علمهم الصافي الفياض، فانصقلت مواهبه، وتميزت شخصيته وتأثر بهم وسار على منهجهم في الورع والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، وقال ابن كثير: وسمع كثيراً واشتغل على فخر الدين ابن عساكر وغيره، وبرع في

(1) طبقات الشافعية الكبرى (5/ 83)، فتاوى العز، ص: 69.

(2) طبقات المفسرين للداودي (1/ 313) المصدر نفسه، ص: 69.

(3) رفع الإصر عن قضاة مصر، ص: 70، فتاوى العز، ص: 70.

(4) فتاوى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام، ص: 70.

المذهب، وجمع علوماً كثيرة، وأفاد الطلبة، ودرَّس بعده في مدارس بدمشق، وولي خطابتها، ثم سافر إلى مصر، ودرّس وحكم وانتهت إليه رياسة الشافعية وقُصد بالفتوى من الآفاق[1].

رابعاً: شيوخ العز رَحِمَهُ اللَّهُ:

1 ـ فخر الدين ابن عساكر: هو أبو منصور عبد الرحمٰن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، الملقب فخر الدين، المعروف بابن عساكر، شيخ الشافعية بالشام، وفقيه زمانه، وكان محدثاً صالحاً، زاهداً كثير التهجد، حسن ا ق والخُلقُ، كثير الأدب والذكر، منقطعاً للعلم والعبادة، وجمع بين العلم والعمل، وهو من أسرة اشتهرت بالعلم والفضل والحفظ، وكان قوياً في الحق لا يهاب سطوة ظالم، ولا يسكت على منكر أو مخالفة للشرع، وتوفي سنة (620هـ) وطلب للقضاء فامتنع، وعرضت عليه مناصب ولايات دينية فأباها، وأنكر على الملك المعظم بيع الخمور بدمشق، فمنعه من التدريس في أهم المدارس، وهو ابن أخي الحافظ أبي القاسم علي ابن عساكر، صاحب «تاريخ دمشق» لازمه العز كثيراً، وأخذ منه الفقه والحديث،

(1) البداية والنهاية (17/ 441).